



الدرس الحادي عشر



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{نبتدي في هذه الحلقة -بإذن الله- من متن العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي، من قوله -رحمه الله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ: وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ: كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَهُوَ يَنْبَغِي الْغُلُوَّ، وَالتَّقْصِيرَ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ) {.

- فهذه الجمل في ختام العقيدة الطحاوية، يقول فيها الطحاوي -رحمه الله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ: وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ).
- دين الله -جلَّ وعَلَا- في الأرض: يعني الذي شرَّعه لعباده وأوجبه عليهم هو الإسلام.
- وقوله: (فِي السَّمَاءِ)، يعني: الذي هو مقبولٌ عند ربِّ العالمين، فلا يقبل الله -جلَّ وعَلَا- من أحدٍ دينًا غير هذا الدين، فهذا معنى قوله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ)، وإلَّا فالملائكة -عليهم الصَّلَاة والسلام- ليسوا مُكَلَّفِينَ بما كُلِّفَ به الإنس والجن، فالرُّسل بُعثوا لأهل الأرض من الإنس والجن، وهم المخاطبون بالدين، وهم الذين يجبُ عليهم طاعة رُسُلِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإتباع دينه.
- والإسلام: هو الاستسلام لله بالتَّوْحِيد، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله.
- هذا هو معنى الإسلام، وقد دلَّ على هذا المعنى آياتٌ كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

إذن الإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له - سبحانه وتعالى - بالطاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله، وهكذا عَرَفَه شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقلَ هذا الشَّيْخُ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في "الأصول الثلاثة" في الأصل الثالث: التعريف بدين الإسلام، فقال: "هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله".

• وبهذا المعنى تصيرُ طاعة كُلِّ رسولٍ في زمنه إسلامًا، فالذين بُعثَ فيهم آدم -وهم ذريته- هم مُسلمون، ثم كان النَّاسُ بين آدم ونوحٍ على مدار عشرة قرونٍ -كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- على إسلام، ثم وقعَ الشِّركُ وحدثَ في قومِ نوح، فأوَّلَ رسولٍ إلى أهلِ الأرض بعد حدوثِ الشِّركِ هو: نُوحٌ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

فالذين آمنوا بنوحٍ وأسلموا هم مُسلمون، وقد ذكرَ الله -عَزَّوَجَلَّ- عنهم وصف الإسلام كما في سورة يونس وغيرها.

وهكذا مَن جاءَ بعدَ نوحٍ من الرُّسلِ، فكلُّ مَن أطاعَ رسلَ الله -عَزَّوَجَلَّ- فقد أسلم، فالرَّسول الذي بُعثَ في زمنٍ ومكانٍ يجبُ على أهلِ ذلك الوقت وأهلِ ذلك المكان طاعة الرسول، فهؤلاء يكونون مُسلمين -أعني من اتَّبع الرَّسول في زمنه ومكانه.

• أمَّا بعدَ مبعثِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد ختمَ الله به الرِّسالات، ونسخَ به الأديان السَّابقة، وجعل القرآن الذي أوحىَ إليه مُهيمنًا على جميع الكتب السَّابقة، فالواجب على الجن كلِّهم وعلى الإنس كلِّهم في شَرْقِ الأرض وغربها: طاعة الرَّسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والدُّخول في دين الإسلام.

• أمَّا مَن استمرَّ على ما كان عليه أهل الملل السَّابقة، كالذين استمرُّوا على اليهودية أو استمرُّوا على النصرانية أو استمرُّوا على غيرها من الأديان؛ فهؤلاء بعدَ مبعثِ النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكونون كَفَّارًا بِحُكْمِ الْقُرْآن، وبحكم السُّنَّة وبإجماع الأمة. قال الله -عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال -عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى كما في هذه الآيات: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالرُّسل كانوا يُبعثون إلى قومهم خاصَّة، أمَّا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد بُعثَ إلى جميع أهل الأرض جنَّهم وإنسهم.

• وفي هذا ورد الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيثُ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^١، وهذا صريح في أنَّ مَن استمرَّ على اليهودية أو النصرانية من هذه الأمة فهو كافر.

• وقوله: «مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، يعني: أُمَّة الدَّعوة؛ لأنَّ المخاطبين داخلون في دعوتِهِ، فهو يدعو جميع أهل الأرض بشيئٍ أصنافهم وأجناسهم إلى الإسلام.

^١ رواه مسلم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

فالأُمَّةُ أُمَّتَانِ:

(١) أَمَّةُ الدَّعْوَةِ: كل مَنْ وُجِدَ ووُلِدَ بعد مبعث النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أمة الإجابة: هم الذين أسلموا ودخلوا في دين الإسلام.

- فقولهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، هذا يُوجب على كل إنسيٍّ وكلِّ جنِّيٍّ أن يتَّبَعَ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- فإذا كَانَ نصرانيًّا حتى لو كَانَ مُتدينًا في نصرانيَّتِهِ، أو يهوديًّا مُتدينًا في يهوديَّتِهِ؛ فالواجب عليه أن يَنْخَلَعَ من هذا الدِّينِ المَحْرَفِ المَبْدَلِ، وأن يتَّبَعَ الرَّسُولَ الخَاتَمَ مُحَمَّدَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيؤمن به، وينقَادَ لشرعِهِ، ويُسلمَ لَهُ، ويستَسْلِمَ لهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ويتَّبَعَ رسوله مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا هو دين الإسلام، وهو دين الله الذي لَا يَرْضَى غيرَهُ في الأرض وَلَا في السَّمَاءِ.
- والإسلام بالمعنى العام تقدّم، وقد عرّفهُ بعضُ العلماء بتعريفٍ آخرٍ مقارب، وهو قولهم: ما شرعَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لعباده على السَّنةِ رُسُلُهُ، وآخرُ الرُّسُلِ هو مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكلُّ ما جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الإسلام.
- ودينُ الإسلام ظاهريٌّ في غاية الظُّهور -وللهُ الحمد- قال تعالى في سورة التوبة وكذلك في سورة الصَّفِّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، فالحمدُ لله، دين الإسلام ظاهريٌّ في غاية الظُّهور، لَا يخفى، ومَنْ طلبه وجده، فيجب على كلِّ مَنْ عَقَلَ أن يَبْحَثَ عن الحقِّ، وأن يَبْحَثَ عن الإسلام، فهذا هو الواجب على جميع أهل الأرض، ثم مِنْ فَضْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- علينا أن جعلَ هذا الدين مُيسِّرًا سَمَحًا، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»^٢، ورفعَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الْأَصَارَ الْأَغْلَالَ عن هذه الْأُمَّةِ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلِ مَوْجُودَةٍ عَلَى مَنْ سَبَقْنَا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَلِهَذَا يُمكن لكلِّ مِمِّيزٍ من صَغِيرٍ أو كَبِيرٍ، وفَصِيحٍ وأَعْجَمِيٍّ، وحَضْرِيٍّ وَبَدْوِيٍّ، وَذَكِّيٍّ وَبَلِيدٍ؛ أن يَدْخُلَ في هذا الإسلام بِأَقْصَرِ زَمَانٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إلى تَكْلُفٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إلى أن يَدْرُسَ بَرَاهِينَ عَقْلِيَّةٍ أَشْهَرًا؛ لَا، بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ بِأَقْصَرِ زَمَانٍ، فإذا انْخَلَعَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَمِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأَذْعَنَ لَهِ، وَشَهِدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَانْقَادَ لِلإِسْلَامِ وَأَرْكَانِهِ؛ فهذا هو الإسلام، يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، عَارِفًا بِمَعْنَاهَا، إذا كَانَ أَعْجَمِيًّا تَتَرَجَمُ لَهُ المَعَانِي حَتَّى يَفْهَمَهَا، وَينْقَادَ لَهَا عَن عِلْمٍ.

٢ رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ فِي حَدِيثِ الْحَبْشَةِ وَلَعِبِهِمْ وَنَظَرَ عَائِشَةُ إِلَيْهِمْ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَتَعْلَمَ يَهُودُ أَنْ فِي دِينِنَا فِسْحَةٌ وَإِنِّي بَعْتُ. - وَكَذَا هُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي عُرْوَةُ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ - تَعْنِي يَوْمَ الْحَبْشَةِ لَتَعْلَمَ وَكَذَلِكَ - بَلَقْتُ: إِنِّي أُرْسِلْتُ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَأَسْعَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَاعِيِّ، وَجَابِرٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَأَبِي أَمَامَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ، وَتَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، أَحَبَّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْخَنِيفَةَ السَّمْحَةَ، وَسَاقَ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الْخَنِيفَةُ السَّمْحَةُ، وَلَهُ طَرُقٌ. حَدِيثُهُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِمَا.

• ومع هذه السهولة واليسر -ولله الحمد- إلا أنَّ الخطرَ موجودٌ، فالمسلم يخافُ على دينه، ويخافُ على عقيدته، ويخافُ على نفسه؛ لأنَّه يقعُ الخروجُ منه أيضًا بسببِ الرِّدَّةِ عن الإسلام، أو الاستهزاء بالدين، أو بفعلِ الشِّركِ الأكبر، والكفر الأكبر، أو التَّكذيب، أو المعارضة لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو الكذبِ على الله -عَزَّ وَجَلَّ- أو الشُّكِّ فيما أخبر الله -عَزَّ وَجَلَّ- به في القرآن، فكما أنَّه يقع الدُّخولُ فيه بأقصر زمان فكذلك الخروجُ من هذا الدين بالردَّةِ عن الإسلام يقع بأسرع ما يُمكن -نسألُ الله العافية والسَّلامة.

□ ولهذا يجب علينا أن ندعوا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما كان يُكثرُ منه الدُّعاء -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنه كان يُكثرُ أن يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^٢، ونسألُ الله أن يثبتنا وإياكم على الدين.

• إذن الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسلام- كلُّهم مُتَّفِقُونَ على طاعةِ الله، والانقياد لشرعه، والاتباع لما جاء به، ولما أوحى الله إليهم، فلهذا هم مُتَّفِقُونَ في الأصول، ومُتَّفِقُونَ في أمور الإيمان، وفي عبادة الرَّحْمَنِ، والإخلاصِ لله -عَزَّ وَجَلَّ- والبراءة من الشِّركِ، مُتَّفِقُونَ في هذه الأصول الكبيرة، فأركانُ الإيمان جميع الرُّسل قد جاؤوا بها، وكذلك أصول العبادات لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكن يختلف كلُّ نبيٍّ عن غيره، فإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَشرع لكلِّ نبيٍّ ما يُناسب قومه، وما يُناسب ذلك الزَّمان وذلك المكان من العبادات والأحكام، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وجاء في الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»^٣، وفي حديث آخر قال: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَّاتٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^٤.

• والإخوة ثلاث أنواع:

(١) إخوة أشقاء: من أب وأم.

(٢) إخوة لعلات: لأب واحد، والأمهات شتَّى.

(٣) والإخوة الأخياف: أمهم واحدة وأبائهم شتَّى.

• فهنا قال: «إِخْوَةٌ مِنْ عِلَّاتٍ»، يعني: الأب واحد والأمهات شتَّى، والمراد هنا التَّقريب، يعني الدِّين واحد، أي أنَّ أصول الدِّين مُتَّفِقُونَ عليها، «وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى»، يعني: أنَّ الشَّرائع تختلف ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

• وأمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرَوِّجَ لتعدد الأديان وأنَّ هذا التعدُّد مقبول في الإسلام، وأنَّه لا بأسَ به، وأنَّ الذين دانوا بغير دين الإسلام يصلون إلى الله ويدخلون الجنَّة؛ فهذا خالف القرآن وخالف السُّنَّة، وخالف إجماع

^٢ رواد الترمذي: ٢١٤٠، وأحمد: ١٢١٢٨، وصححه الألباني فيمشكاة المصابيح: ١٠٢.

^٤ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحِّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

^٥ رواد البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

عُلماء المسلمين، وقد حكى جماهيرُ العلماء الإجماعات الكثيرة في كُفْرِ مَنْ قال بهذا، وأنَّه لا يصح ولا يُقبل عند الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلا دين الإسلام، فنسألُ الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يثبتنا على هذا الدِّين.

- ثم قال -رحمه الله: (وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ، وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ).

يعني: أنَّ هذا الدِّين -ولله الحمد- وسطٌ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهذا الدين ليس فيه غلو؛ بل الغلو من الكِبائر ومن المحرّمات التي حرّمها الإسلام، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال -جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، فالتَّحريم هنا غلو -نسألُ الله العافية والسَّلامة- فنهى الله عن هذا الغلو، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة ٨٧، ٨٨].

- والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ»^٦، وهذا له سبب، وهو أنَّه في حُجَّة الوداع أمر بالتقاطِ الحَصِيَّات ليرميها في جمرَةِ الْعَقَبَةِ، فالتَّقِطَتْ له سبعُ حَصِيَّاتٍ -صلوات الله وسلامه عليه- مثل حَبَّة الفولِ أو نحوها، فقال: «بمثل هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو، فإن أهلك من كان قبلكم الغلو»، فإذا كانت الزيادة في حجم الحجر غلوًا وكذلك في عدده غلوًا؛ فهنا من هذا أنَّ الزيادة في كَلِّ ما شرّعه الله -عَزَّ وَجَلَّ- وجاء عن رسوله يعتبر غلوًا مهلِكًا، لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»، فبعض النَّاس يتساهل ويقول: هذه زيادة خير، وأنا أريد الخير، وهذا أقرب... لا تستحسن بعقلك، فدين الإسلام بين الغلو والجفاء، وسنشرح الجفاء بعد قليل.
- ومثل الثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوتِ النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسألوا عن عبادته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكأنهم تقالُّوها، وقالوا: إنَّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد غفرَ الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فقال أحدهم: أصليَّ الليلَ ولا أرقد. وقال الآخر: أصومُ ولا أفطر. وقال الثالث: لا أتزوج النساء. وفي رواية "قال رابع: ولا أكل اللحم" لماذا قالوا هذا؟

- لأنَّهم يُريدون الخير، فهم صحابة، ولكنَّهم تابوا وتركوا هذا لما نهيهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولما بلغ ذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَا بَالُ رَجَالٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ كَذَا، وَكَذَا لِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَقُومُ وَأَنَا مُمٌّ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»، وفي رواية «وَأَكُلُ اللَّحْمَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^٧، وهذا يبين لك أن بعض ما يُنقل عن بعض المتعبدِّين من الاجتهادات الرَّائدة عن المشروع أنَّها غير صحيحة، وأنَّه لا يُقتدى بهم في هذا.

^٦ أخرجه أحمد: ٢١٥/١، والنسائي: ٢٦٨، وابن ماجه: ٣٠٢٩.

^٧ البخاري ومسلم.

- وأيضاً ذكر في سبب نزول الآية التي في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، أَنَّ بعضَ الصَّحابة تَبَتَّلُوا، فَجَلَسُوا فِي الْبُيُوتِ واعتزلوا النِّسَاءَ، وَلَبَسُوا الْمَسُوحَ، وَحَرَّمُوا الطَّيِّبَاتِ مِنَ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، وَأَرَادُوا السَّيَاحَةَ فِي الْأَرْضِ، وَهَمُّوا بِالْإِخْتِصَاءِ حَتَّى لَا يَشْتَهَوْا النِّسَاءَ، وَأَجْمَعُوا لِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَأَجْمَعُوا لِلصَّيَامِ؛ فَأَحْيَانًا تَأْتِي النَّفُوسُ بِهَذِهِ الْإِنْفِعَالَاتِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، يَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهَا: أَي: لَا تَسِيرُوا بِغَيْرِ سُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَتَحْرِيمِ النِّسَاءِ وَاعْتِزَالِهِمْ، وَتَحْرِيمِ الطَّعَامِ، وَتَحْرِيمِ اللَّحْمِ، وَتَحْرِيمِ اللِّبَاسِ الْجَيِّدِ الَّذِي لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، وَمَوَاصِلَةِ الْقِيَامِ دُونَ نَوْمٍ، وَمَوَاصِلَةِ الصَّيَامِ دُونَ إِفْطَارٍ؛ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهَذَا غُلُوٌّ.
- وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ أَيْضًا: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا، فَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُسْلِمُ هَذَا، وَأَعَادَهُ عَلَى قَلْبِهِ هَلَكٌ، هَذَا يَتَعَبَّدُ وَيَقُومُ اللَّيْلَ مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ كُلِّ لَيْلَةٍ، هَلَكٌ! سَبَّحَانَ اللَّهِ! أَمَّا بِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ هَذَا هَالِكٌ، وَلَا يَغْرُنَا هَذَا الْغُلُوُّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ.
- وَالتَّنَطُّعُ: هُوَ التَّشَدُّدُ وَالتَّكَلُّفُ، وَيُقَالُ أَيْضًا عَنِ التَّقَرُّعِ فِي الْكَلَامِ وَتَفْخِيمِهِ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ نَطْعِ الْحَقِّ -يَعْنِي أَقْصَاهُ- عَلَى هَيْئَةِ الْمُفْتَخِرِ وَالْمُتَكَبِّرِ وَالْمُتَشَدِّقِ بِكَلَامِهِ. فَالتَّشَدُّدُ فِي الْعِبَادَةِ بَأَن يُشَدِّدَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ يُشَدِّدَ عَلَى غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَالتَّكَلُّفُ يَدْخُلُ فِيهِ هَذَا، وَيَدْخُلُ فِيهِ التَّكَلُّفُ فِي الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ، وَمَسَائِلِ الْعِلْمِ، كَأَن يَبْحَثَ عَمَّا لَا يُشْرَعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، فَهَذَا يَعْتَبَرُ مِنَ التَّنَطُّعِ. وَكَذَلِكَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْغَرِيبِ وَالْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ، لِيَتَفَاخَرَ وَيُظْهِرَ قُدْرَاتِهِ وَيَتَبَخَّرَ عَلَى النَّاسِ، فَهَذَا مِنْهُيٌّ عَنْهُ.
- وَعلى كُلِّ حَالٍ؛ فَدِينُ الْإِسْلَامِ وَسْطٌ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ.
- الْجَفَاءُ: يَعْنِي التَّهَانُ وَالْتَّلَاعِبُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ، وَالْإِنْحِلَالُ عَنِ الدِّينِ، فَكَمَا أَنَّ الْغُلُوَّ ضَلَالٌ، فَكَذَلِكَ الْجَفَاءُ ضَلَالٌ، وَالْوَاجِبُ هُوَ الْقِيَامُ بِالشَّرْعِ وَالْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى شَرْعِهِ فَعَلًا لِلوَاجِبَاتِ وَتَرْكًا لِلْمَحْرَمَاتِ، وَأَمَّا الْإِنْحِلَالُ بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَالِإِهْمَاكِ فِي الْمَحْرَمَاتِ وَدَعْوَى أَنَّ هَذَا لَا يَضُرُّ، وَمَا دَامَ أَنَّ الْإِيمَانَ مَوْجُودٌ فَلَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ؛ فَهَذَا كَلَامُ الْمُرْجئةِ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ ضَلَالِهِمْ، وَغَيْرُ الْمُرْجئةِ مِمَّنْ يَتَكَاسَلُ وَيَتَلَاعَبُ بِالدِّينِ، فَلَا يَقِيمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُؤَدِّي الزَّكَاةَ، وَلَا يَقُومُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنْحَلُونَ عَنِ الشَّرِيعَةِ -نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ- فَدِينُ اللَّهِ وَسْطٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَكِلَا الطَّرْفَيْنِ مَذْمُومٌ.
- قَالَ: (وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ).

أي: في باب الأسماء والصفات، فهذا الباب العظيم يجب أن نؤمن بما أخبرنا الله -عَزَّوَجَلَّ- به من أسمائه وصفاته، ونقر بذلك، فنجنب ضلالتين عظيمتين خطيرتين:

✓ **الأولى:** تشبيه الله بخلقه.

✓ **الثانية:** تعطيل الله عن صفاته.

✓ **فالأولى:** التشبيه -وهو التمثيل- وهو أن يجعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق، فيقول: سَمِعَ الله مثل سَمِعَ الإنسان، فهذا كافرٌ، وهذا ليس من دين الإسلام في شيء، فهذا إثبات مع التمثيل؛ لأنَّه أثبت لله السَّمْعَ ولكنَّه مثَّلَ الله بخلقه؛ وهذا كفر.

✓ **الثانية:** التَّعْطِيلُ، وهو أن يقول: إِنَّ الله لا يسمع، ولا يوصف بالسمع.

• سُبَّيْ تعطيلاً لأنَّ التَّعْطِيلَ هو التَّخْلِيَةُ، أي: التَّرك والإِنْكار، قال تعالى: ﴿وَبُئِرَ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، مُعْطَلَةٌ: يعني متروكة مخلاة.

ويقال في لغة العرب: جيدٌ معطلٌ. الجيدُ: هو العُنُقُ، يعني إذا لم تلبس المرأة الحُلِيَّ يُقال عنها: "جيدٌ مُعْطَلٌ" يعني: عنقٌ متروكٌ وما عليه شيءٌ.

فالتَّعْطِيلُ: هو التَّرك، أي: إنكار أسماء الله وصفاته. وهذا الإنكار:

○ قد يكون كاملاً كما يفعله الجهميَّةُ، والفلاسفةُ، وكفرة الصَّابئة، والباطنيَّة، فهم يُعْطِلُونَ تعطيلاً كاملاً.

○ وقد يكون تعطيلاً للصفات مع إثبات الأسماء، كما يفعله المعتزلة.

○ وقد يكون تعطيلاً لبعض الصفات دون بعض: كما يفعله الأشاعرة والماتريدية.

وكلُّ هذه المذاهب غلطٌ، ولكن بعضها أشد من بعض، وقد تقدَّم هذا في موضعه.

□ **والواجب:** أن نثبت أسماء الله -عَزَّوَجَلَّ- وصفاته الواردة في الكتاب والسنة

كما جاءت من غير تمثيلٍ ومن غير تشبيه، وأن ننزه الله -عَزَّوَجَلَّ- عن مماثلة خلقه من غير تعطيلٍ، كما تقدَّم شرحُ هذا.

• قال: **(وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ)**، هذا تقدَّم أيضاً في مسائل القدر، وهو أنَّ العبدَ غيرَ مجبورٍ على أفعاله، ولا

على أقواله؛ بل خَلَقَهُ الله -عَزَّوَجَلَّ- وجعلَ فيه قدرةً واختياراً، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)

فَأَلَّهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وقال

تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨].

◀ فمذهب الجبريَّة مذهبٌ باطلٌ، فالذين يقولون إنَّ العبدَ مجبورٌ كالآلة ولا إرادة له، وأفعاله كلها

مجبورٌ عليها، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله كما الريشة في مهبِّ الرِّيح، وكحركات المرتعش، وأنَّ

صلاته وصيامه وحجَّه، والبعيدُ الذي يزني ويسرق؛ كل هذه الأفعال مجبورٌ عليها، فهؤلاء هم:

"الجبريَّة" الضُّلال.

◀ وعكسهم: "القدريَّة". ومذهبهم: "نفي القدر"، وسُمُّوا بالقدريَّة؛ لنفهم القدر.

★ فالجبرية: يغفلون في إثبات القدر لله -عَزَّ وَجَلَّ- وينفون أفعال العباد، فينفون أَنَّ العبد مختارٌ، بل يقولون: إِنَّ العبد ليس له اختيار ولا إرادة، ولا قدرة.

★ وفي مُقابل هؤلاء: القدرية، ينفون عِلْمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومشيتته النافذة، فيقولون: إِنَّ العبد مُستقلٌّ بفعله، عنده قدرة على أفعاله، وهو مُستقلٌّ بذلك، وليس لله في أفعاله أي تصرُّفٍ، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يقدر على أن يهدي ضالًّا، ولا أن يُضلَّ مهتديًّا، ولا يقدر الله أن يجعل هذا يشاء الخير أو لا! فقولهم هذا أخْبَثُ؛ لأنَّهم جعلوا مع الله خالقين وليس خالق واحدٍ، فجعلوا كل إنسان يخلق فعل نفسه.

★ أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]. فأنبت للعبد المشيئة، فقال: ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٣٠]، بيَّن أنَّ مشيئة العبد ليست مُستقلة؛ بل هي تابعة لمشيئة الله تعالى، فمشيئة الله هي النافذة، ومشيئة العبد ليست نافذة، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلق العبد بصفاته، هذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أحمر، هذا طويل، وهذا قصير.

● ومن صفات العبد صفتان مهمتان ينتج عنهما أفعاله، فأَيُّ فعلٍ يقوم به الإنسان لابدَّ فيه من وجود الصفتين حتى يتم الفعل، هما:

❖ **الصفة الأولى:** القدرة.

❖ **الصفة الثانية:** المشيئة -أو الاختيار.

● فالإنسان يستطيع أن يحمل هذا الكأس ويضعه، وهذه هي القدرة، يحمل الكتاب ويضعه، هذه قدرة، يذهب للمسجد أو إلى أي مكانٍ آخر، فهذه قدرة.

أمَّا المشيئة أو الاختيار: فكأن يختار أن يرفع هذا ولا يرفع هذا.

إذن هذا يُسمَّى التَّمييز، ولهذا فإنَّ المميِّز يُطالب بالعمل، أمَّا غير المميِّز فلا يُطالب بشيءٍ ولا يُكَلَّفُ بشيءٍ، وكذلك فاقد العقل هو فاقد للاختيار وإن كان يستطيع أن يتحرك وعنده قدرة، ولكنه فاقد للصفة الثانية وهي الاختيار.

● والله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلق في العبد القدرة والاختيار، وخلق صفاته، وما ينتج عن هاتين الصفتين من جميع أفعاله وأقواله هو محاسبٌ عليه، فتُضاف إليه كسبًا، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فصارت الأفعال تُضاف إلى العبد كسبًا وتسببًا.

● الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي خلق العبد وخلق صفاته وخلق هذه الأشياء فيه؛ إذن تُضاف أفعال العباد وما ينتج عنها إلى الله خلقًا وإيجادًا، فالله تعالى هو خالق العبد، وخالق أفعاله، وكل ما ينتج من أفعاله فهو مخلوق لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولكنها تُضاف إلى العبد كسبًا وتسببًا، فهذا مصليٌّ وذاك ساقٍ، وهكذا... فهذا دين الإسلام، بين الجبر والقدر.

● قال المؤلف: (وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ).

• هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو التوسط بين الأمن والإياس، فلا يأمن من مكر الله، ولا ييأس من روح الله، كما قال الله -عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

• فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فإذا خاف من الله -عَزَّوَجَلَّ- لا يأمن أن يُسَلَبَ الدين بسبب الذنوب؛ بل يخاف على دينه، ويخاف على نفسه، ويسأل الله الثبات، ولا يأمن أن تكون تكثر ذنوبه، خاصة محقرات الذنوب؛ فيؤاخذ عليها، وبعض الناس ما ينتبه حتى للكبائر -نسأل الله أن يغفر لنا ولجميع إخواننا المسلمين- فيخاف العبد من ذنوبه وتقصيره في فعل الواجبات، هل أدّى الصلاة كما ينبغي أولاً، وفي نفس المقام يرجو الله، فلا ييأس من روح الله ويقول: أنا صلاتي غير مقبولة أو أعمالي غير مقبولة، وأنا ذنوبي أحاطت بي، وأنا في النار!

هذا حرامٌ ومن أكبر كبائر الذنوب، كما ثبت ذلك عن ابن مسعود أنَّ من أكبر الكبائر: الأمن من مكر الله وإلياس من روح الله.

ولهذا يقول العلماء: الخوف والرجاء للمؤمن كجناحي طائر.

والإنسان أيضاً لا يقول عن نفسه: أنا رجل صالح، أنا الحمد لله كذا وكذا...!

ما دُمتَ في الحياة ولم تنتقل إلى الدار الآخرة فأنت على خطرٍ؛ فاسأل ربَّك -عَزَّوَجَلَّ- الثبات، وأن يُثبتك على الإسلام.

• وهذا يُشير إلى مذهب المرجئة، كما يُشير إلى مذهب الخوارج:

✳️ فالمرجئة: يُغلبون جانبَ الأمن من مكر الله، يقولون: افعل ما شئتَ من الذنوب وليس عليك مشكلة، حتى لو انحلت من الدين فما دمتَ أنك تقول الشهادتين، فما عندك مشكلة، فهذا مذهب المرجئة الضلال، وهو مذهب رديء خبيث.

✳️ وعكسهم: الخوارج الغلاة، كلاب النار، الذين يُشددون على المسلمين فيُخرجونهم من الإسلام بالذنوب والمعاصي، ودين الإسلام وسطٌ بينَ الأمن والإياس.

• فهذه جُمْلٌ عظيمة، ذكر فيها الطحاوي وسطية أهل الإسلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة "العقيدة الواسطية" وسطية أهل السنة والجماعة، وذكر هذه المسائل، وأضاف إليها المسألة الخامسة وهي: وسطيتهم في أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين الرِّوَافِض والخوارج والتَّوَّاصِب.

{قال -رحمه الله: (فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بُرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَرْأَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمَشْهَرَةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبَرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَخَالَفُوا الضَّلَالََةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضَلَالٌ وَارِدِيَاءٌ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ)؛.

- هذه الجُمْل هي ختام رسالة العقيدة الطحاوية، قال: **(فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا)**، قوله: **(هَذَا)**، يعني المُشار إليه هو كلُّ ما تقدَّم من أوَّل العقيدة الطَّحاوية إلى هنا.
 - قال: **(فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا)**، يعني: أهل السُّنَّة والجماعة ليس عندهم عقيدة خاصَّة بـبعض النَّاس دون بعض، وليس هناك شيء يُبطنونه ويُخفونه عن النَّاس، فما أظهرونه هو ما يُبطنونه، وما أبطنوه هو ما يتكلَّمون به من العقيدة، خلافًا للباطنيَّة الذي يُبطنون الضَّلالات ويُخفونها عن العوام - كما يقولون.
 - والشَّيخ الطَّحاوي -رحمه الله- في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة اجتهد اجتهادًا طيِّبًا، وبذل كلامًا عظيمًا نافعًا في أغلبه ومجمله، سوى موضع أو موضعين سبق التنبيه عليهما:
 - (١) في مسألة الإيمان والإرجاء، وإخراج العمل من الإيمان، وتَمَّ التنبيه على ذلك.
 - (٢) كذلك في بعض الألفاظ اليسيرة.
 ولكن في الجُمْلَة فإنَّ هذه العقيدة الطحاوية عقيدةٌ صحيحةٌ وجيِّدةٌ في مجموعها.
 - ثم قال: **(وَنَحْنُ بُرَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ)**، يعني: نتبرَّأ إلى الله -عزَّ وجلَّ- وتبرَّأ إليه من كلِّ العقائد الفاسدة، وقد تقدمت الإشارة إلى كثيرٍ من هذه العقائد الفاسدة.
 - ثُمَّ دعا الله -عزَّ وجلَّ- بهذا الدُّعاء، فقال: **(وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ)**، هذا من الأدب مع الله -سبحانه وتعالى- وهذا حال عالمٍ جليل مثل الطَّحاوي، وهذا درسٌ لنا ولكل مُسلم، أنَّ العُلَماء من أشدَّ النَّاس تعظيمًا لله، وحرصًا على الثَّبات، وإبعادًا لأنفسهم عن الغرور، فيدعو الله -عزَّ وجلَّ- بالثَّبات، وهكذا يكون كل مُسلم وكل طالب علمٍ وكل عالمٍ؛ فيدعو الله -عزَّ وجلَّ- أن يُثبته على الدِّين، وأن يُثبته على الإيمان، وأن يُثبته على الإسلام، وأن يُختم له به؛ لأنَّ الإنسان قد يكون عارفًا بالحقِّ، ثُمَّ يزيغ عنه بسبب الدُّنيا، أو بسبب شُبهة، أو بغير ذلك من الأمور -نسأل الله العافية والسَّلامة، وأن يحسن خاتمتنا جميعًا.
 - ثم قال: **(وَيُعْصِمُنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَرْءِ الْمُتَفَرِّقَةِ)**.
 - الأهواء: جمعُ هوى، والهوى هو الرأى، ولذا قال: **(وَالْأَرْءِ الْمُتَفَرِّقَةِ)**، والمراد به هنا: ما خالف الكتاب والسُّنَّة.
- فهذه الأهواء هي التي حذَّر منها النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحدثت بعد مماته بمدة، وأوَّل الأهواء حدوثًا: الخوارج، ثم الشَّيعة؛ فبدعة الخوارج وبدعة الشَّيعة حدثتا في زمنِ علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وأنكرهما أشدَّ الإنكار، ثُمَّ بعد خمس وعشرين سنة تقريبًا حدثت فتنة القدرية، ثم بعد نحو عشر سنوات حدثت بدعة المرجئة؛ فهذه أصول الأهواء الضَّالَّة:
- **أولها: الخوارج.**
 - **ثانيها: الشَّيعة.**

❖ **ثالثها: القدرية**، وهذه قبل سنة سبعين بحوالي خمس سنوات، أدركها ابن عباس في كِبَرِ سِنِّهِ لَمَّا عَمِيَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وكان في الطائف، وأدركها عبد الله بن عمر لَمَّا كَبُرَ، وأدركها واثلة بن أسقع؛ كُلُّهُمْ سمعوا بها، وأول ما بدأت بدعة القدر وقولهم أن الله لا يعلم الأمور ولم يقدرها كانت بالعراق، وهؤلاء القدرية النفاة وهم غلاة القدرية.

❖ **رابعها: بدعة المرجئة**، وكانت بعد بدعة القدرية بحوالي خمسة عشر سنة تقريباً، وهي إخراج العمل عن الإيمان، والزعم بأن الذنوب لا تضر مع وجود الإيمان باللسان وبالقلب، فيُكتفى في ثبوت الإيمان قوله باللسان واعتقاده بالقلب.

فهذه هي الأهواء المختلفة، وسُمِّيَ "هَوًى"؛ لأنَّه يهوي بصاحبه؛ أو لأنَّه فراغ ولا شيء، فهو إمَّا من الفراغ أو من الهوى، قال تعالى: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

• ثُمَّ ضرب المؤلف أمثلة على هذه الآراء المتفرقة والمذاهب الردية، قال: **(وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمَشْهَةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ)**، هو لم يُردِ الحصر؛ لأنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر أنَّها أكثر من سبعين، فقال: **«ثلاثاً وسبعين فرقة»**.

❖ **فالمشبهة**: هم الذين شبَّهوا الخالق بال مخلوق، وقد تقدَّمت الإشارة إليهم.

❖ **المعتزلة**: الذين اعتزلوا حلقة الحسن البصري، ورئيسهم واصل بن عطاء، وكذلك عمرو بن عُبيد، ومعيد بن عويمر الجني، وآخرون شاركوهم، وكان أول أمرهم سنة مائة وما حولها، وكان أول أمرهم نفي القدر، ثُمَّ دخلت عليهم بدعة القول بـ "المنزلة بين منزلتين"، وبعد ذلك بحوالي سبعين سنة في زمن هارون الرشيد دخلت عليهم بدعة "تعطيل الصفات"، ويسموه عندهم "التَّوْحِيد" ولهذا يقول العلماء: أصول المعتزلة خمس؛ كلها باطلة، ولكن سُمُّوها بأسماء بَرَّاقة:

✅ **الأصل الأول: التَّوْحِيد**، وأرادوا به نفي الصفات.

✅ **الأصل الثاني: العدل**، وأرادوا به نفي القدر، ونفي أنَّ مشيئة الله -عَزَّوَجَلَّ- نافذة.

✅ **الأصل الثالث: إنفاذ الوعيد**، وأرادوا به أنَّ أصحاب الكبائر مغلَّدون في نار جهنَّم.

✅ **الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين**، وأرادوا به أنَّ المسلم إذا ارتكب الذَّنْبَ والكبيرة فإنَّه ليس بكافرٍ ولا بمسلمٍ، وهذه بدعة ما أتى بها أحدٌ غيرهم!

✅ **الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وأرادوا به الخروج على الأئمة الظَّلمة، وهذا مذهب فاسد.

❖ **والجهمية**: هم أتباع الجهم بن صفوان، وقد تقدَّم ذكره. وكذلك الجبرية والقدرية؛ وغير هؤلاء من أهل الضلال وأهل البدع.

❑ **فالواجب على أهل الإسلام: الثَّبات على منهج النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومنهج الصَّحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ومَن كَانَ على مثل ما كان عليه النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه. هذا هو الذي جاء به الحديث، وهذا هو الذي يسلم دينه، فكل مسلم يجتهد ويسأل على الحق حتى يصل إليه.**